مَركز الشَّيخ عَلِي الغِريَاني للكِتابْ
Sheikh Ali Al-Gharyani Book Center

www.shabcenter.ly
info@shabcenter.ly

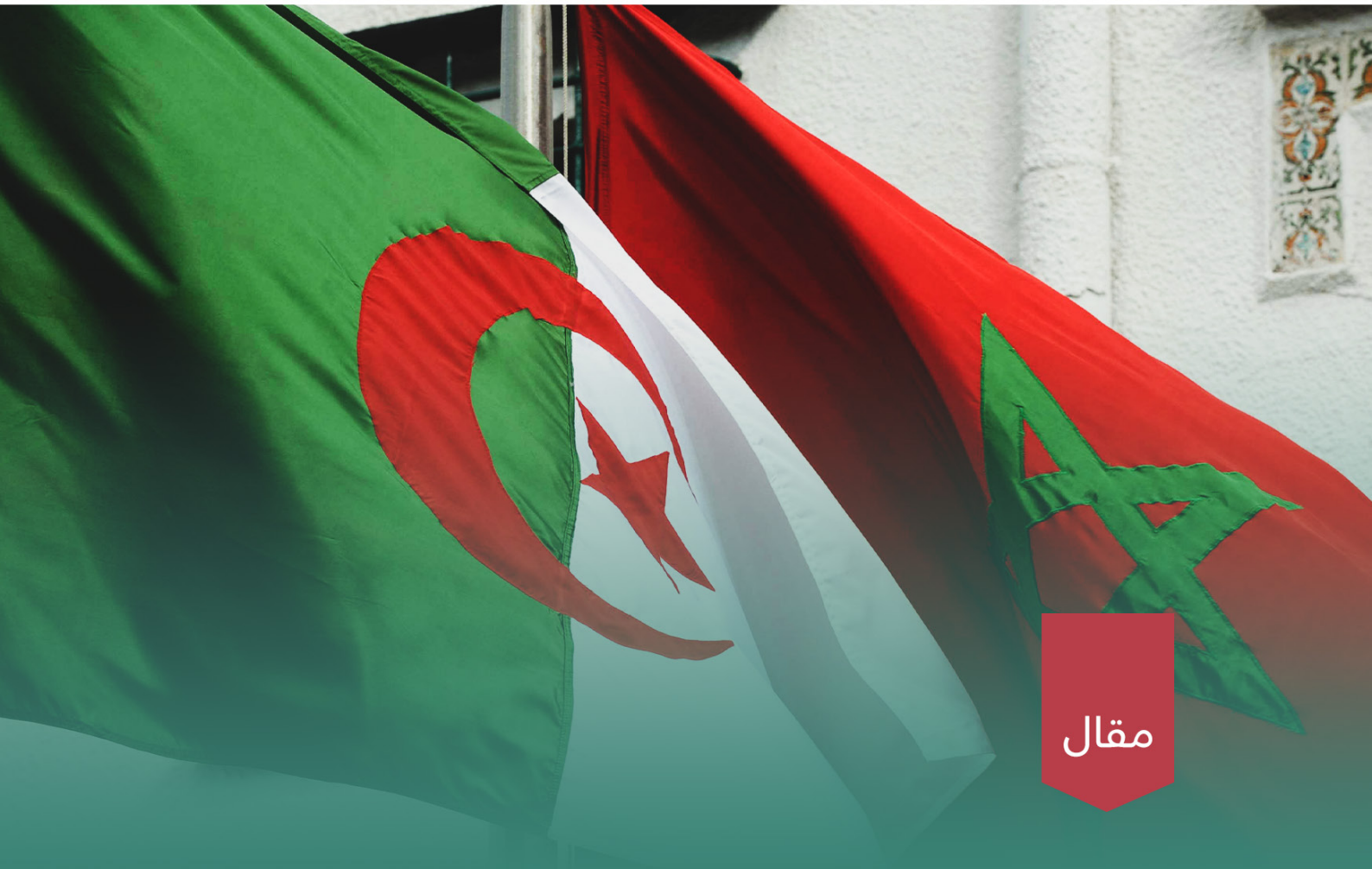

مقال

أي مستقبل للعلاقات المغربية الجزائرية؟

أ. زهير عطوف

أي مستقبل للعلاقات المغربية الجزائرية؟

تجمع المغرب والجزائر خصوصيات وروابط متجدرة ضاربة في عمق التاريخ، تستند إلى وحدة الهوية والأرض واللغة وكذلك المصير المشترك بحكم الجوار الجغرافي والتقارب بين شعبي البلدين. إلا أن المشترك بين البلدين لا ينفي وجود نقط خلافية وتنافس شديد بينهما حول مجموعة من القضايا على رأسها قضية الصحراء. فالمغرب والجزائر يعدان المتنافسين الجيوسياسيين الأكبر في المنطقة، حيث تجنّب كلاهما بلوغ مرحلة الأعمال العدائية المباشرة.

وجاءت رياح الحراك في الجزائر لدفع بالعجلة السياسية في البلاد، في ظل الانتقال الديمقراطي، الذي يرجى منه أن يساهم في خلق معطيات جيوسياسية جديدة بالمنطقة، وإلى الدفع بشكل أكبر بالعلاقات المغربية الجزائرية نحو الشراكة والاندماج.

السياق التاريخي لتحسن العلاقة بين المغرب والجزائر:

تبلور مفهوم التعاون بين المغرب والجزائر في بداية القرن العشرين وخلال العقود المتتالية، من خلال مجموعة من المحاولات. لكن تبقى سنة 1958 لها أهمية خاصة في الوعي السياسي بين البلدين، حيث انعقد مؤتمر طنجة يوم 26 أبريل/نيسان 1958 بالمغرب والذي ضم ممثلين عن المغرب والجزائر. إذ اعتبر المؤتمر بداية التأريخ للتعاون بين البلدين في القرن العشرين.

بعد ذلك في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي جرت مفاوضات مدينة إيفران المغربية في 15 يناير/ كانون الثاني 1969 ثم مفاوضات 27

مايـو/ أيـار 1970 وبعدهـا مفاوضات 15 يونيـو/ حزيـران 1972، وكان من ثمارها معاهـدة حول الحـدود المغربية الجزائريـة، ودعم الجزائـر لمغربية الصحراء.

ومـع بدايـة الثمانينيات دخـل كل من المغرب والجزائر في مفاوضات سـرية عـام 1981، كانـت هـذه المفاوضـات فـي مجملهـا تـدور حـول إنهاء مشـكل الصحراء. بعد سـبع سـنوات من ذلك، وفي قمة زرالـدة الجزائرية عام 1988، عـاد الدفئ للعلاقات المغربيـة الجزائرية، بعد قطيعة بيـن البلدين، واعتبرت هـذه السـنة نقطة تحـول جديدة وكبيرة بينهما، وشـكلت رمزاً قوياً لتحسـن العلاقـات الجزائريـة المغربية، حيث سـعى البلدان بالاضافة الـى باقي الدول المغاربيـة الثلاثـة -تونـس وليبيا وموريتانيا-إلى تشـكيل لجنـة مغاربية، التي انبتـق عليهـا تأسـيس اتحـاد المغـرب العربـي عـام 1989 بمدينـة مراكـش، وذلـك مـن أجـل توطيـد أواصر الأخـوة والتعـاون والتكامـل الاقتصـادي بين هـذه الدول.

أما في الألفية الثالثة فقد شـهدت العلاقـات الثنائية، بين المغرب والجزائر، مسـارًا غير مسـبوق ما بين 2011 و2013، حيث تمكن البلدان من توقيع اتفاق يقضـي بتبادل الزيارات الرسـمية في قطاعات الزراعـة والبيئة وغيرهما. وفي عـام 2018 سـاندت الجزائـر المغرب في الترشـح لملف تنظيـم كأس العالم، حيـث كانـت أول دولـة عربيـة تسـاند وتأيـد المغـرب فـي تنظيمه، بـل اقترح البلـدان تنظيمـا مشـتركا لملـف كأس العالـم. وفي نفس السـنة دعى ملك المغـرب الجزائـر إلى تحسـين العلاقـات بين البلديـن، لطي صفحـة الماضي وتشـكيل آلية سياسـية للحوار، وإلى إعادة فتح الحـدود المغلقة بين البلدين منـذ العام 1994، والبحث فـي الملفات الخلافية العالقة لبداية صفحة جديدة، حيث أكدت الرباط في هذا السـياق أنها مسـتعدة للحوار المباشـر والصريح مـع الجزائـر. وحاولـت هـذه المبـادرة المغربية خلق أجـواء جديـدة تمكن من الانطـلاق نحـو المسـتقبل، بالبحـث عـن آليـات العمـل المشـترك لتحقيق المنافـع والمصالـح للمغرب والجزائر على حد سـواء.

كمـا يتبـادل الطرفان عبارات الـود والمجاملة باسـتمرار، خاصة فـي الأعياد الوطنيـة أو الدينيـة فـي البلدين، وعنـد الوفيات كزيـارة الرئيس السـابق عبد

العزيز بوتفليقة المغرب عند وفاة الملك الحسن الثاني عام 1999، أو في المناسبات حيث هنأ المغربُ الرئيس الجزائري المنتخب عبد المجيد تبون في خضم الحراك إثر فوزه بالانتخابات لعام 2019. فضلاً على التزام المغرب الصمت والحياد إزاء ما حدث في الجزائر أثناء الحراك الجزائري واعتبار الأوضاع شأناً داخلياً.

وتبقى كل الاحداث السالفة الذكر مؤشرات ايجابية ومهمة ينبغي استغلالها، لأن من شأنها أن تخلق انفراجاً حقيقيا في مستقبل العلاقة بين البلدين. خصوصا أن العلاقة بين البلدين لم تنقطع ابدا.

أهمية العلاقة للطرفين على المستوى الاقتصادي والتجاري:

تعد معوقات تطبيع العلاقات الجزائرية المغربية أهم وأبرز معوقات العمل المغاربي المشترك، إذ من غير الممكن بناء المغرب الكبير بدون الجزائر والمغرب بحكم ثقلهما السياسي والاقتصادي وجيوسياسي فهما الفاعلان الأكثر نفوذاً في المنطقة. لهذا يمكن القول إن العلاقات الاقتصادية بين المغرب والجزائر، يمكن وصفها باقتصاد الفرص الضائعة، بالنظر إلى الأرباح الهائلة التي كان من الممكن أن يحصل عليها البلدان لو وضعوا إطاراً للاندماج الاقتصادي، خاصة أن ما لدى الجزائر يغيب عند المغرب، وما يوجد في المغرب لا تتوفر عليه الجزائر. فمثلا مجال التكامل الزراعي بين البلدين يمكنه أن يجعل الجزائر والمغرب تستغنيان عما يستوردانه من أوروبا ونفس الشيء في مجال الخدمات.

وفي هذا الإطار رفع المغرب في السنوات الاخيرة من جاذبيته الاقتصادية بفضل انخراطه في الورش الكبرى، في عدة مجالات كالطاقات المتجددة، ويسعى المغرب إلى الانفتاح على اسواق اضافية بشكل أكبر بسبب ثرواته الطبيعية المتواضعة خصوصا في مجال مصادر الطاقة، أما الجزائر فيحتل فيها القطاع التجاري والخدمات المراتب الاولى، ويشكل البترول والغاز الطبيعي ثروة البلاد الرئيسية حيث تمثل مداخيله للجزائر 97 في المئة من

ارباح الصادرات. أمام هذا الوضع يتضح أن لكلا البلدين مقوماته ومؤهلاته الخاصة، وعدم تعميق التعاون بين البلدين يضيع عليهما 2 في المئة من الناتج الداخلي الخام و10 ألف منصب شغل سنويا، كما سيساعد في تطور التجارة الخارجية بعشرة أضعاف.

وعلى الرغم من ذلك، تشهد العلاقات الاقتصادية بين البلدين نموًا متزايدًا. حيث تعتبر الجزائر الشريك التجاري الثاني للمغرب على مستوى القارة الافريقية خلال السنوات العشر الاخيرة واستحودت الجزائر على ماياهز 9 في المئة من صادرات المغرب الى افريقيا، واحتلت الجزائر الرتبة الاولى في لائحة أهم شركاء المغرب على مستوى الواردات من افريقيا حيث يستورد 35 في المئة من بضائعه من الجزائر.

وفي هذا السياق يعتبر أنبوب الغاز الذي يربط الجزائر بإسبانيا عبر المغرب، واحدا من المصالح الاستراتيجية التي تجمع البلدين، وأحد المشاريع المتوسطية الناجحة، حيث تحصل الرباط على 10% من عائدات الغاز الجزائري المُسال في الأنبوب أي أن نصيب المغرب يقارب مليار ونصف دولار سنويًا، في حين تقدر ارباح الجزائر ب 15 مليار دولار. أمام هذا المشهد يعتبر التبادل التجاري والاقتصادي بين البلدين، من أبرز العوامل الهامة التي ساهمت في تحسين العلاقات بين البلدين.

العلاقة بين الطرفين في ظل رياح التغيير السياسي في الجزائر:

مع حراك « 22 فبراير» ورحيل نظام بوتفليقة، دخلت الجزائر منعطفاً تاريخياً جديداً، تُطرح معه أسئلة حول أفق العلاقة بينها وبين المغرب، التي أصبح إصلاحها، ضرورة حتمية، أمام الفرص التجارية والاقتصادية المهدورة، والتحديات الأمنية المتسارعة في المنطقة، فضلاً عن الرغبة الملموسة بين شعبي البلدين في إسقاط الحدود وعودة الدفء إلى العلاقات.

وبالموازاة مع ذلك وفي خضم الحراك الجزائري لعام 2019، إنطلقت مُبادرة

مغربيـة جزائرية من أجل تحسـين العلاقات بين الجانبين، دعا إليها عشـرات المغاربـةَ والجزائريين، عبر تأسـيس لجنة سـميت اللجنـة الجزائرية من أجل فتـح الحـدود البريـة الجزائريـة المغربيـة، مكوّنة مـن العديد مـن الفعاليات السياسـية والنقابية الجزائرية.

وفـي السـياق نفسـه كانـت هنـاك نقاشـات فـي الجزائـر تصـب فـي اتجاه تعميـق العلاقـات مع المغـرب، بالنّظـر إلى وجود مؤشـرات إيجابيـة ما بعد الرئيـس السـابق عبـد العزيز بوتفليقـة. فإثر الحـراك الجزائري باشـرت جهة سـيادية جزائرية استشـارة أكاديميين واختصاصيين بشـأن الطريقة الأنجع لفتـح الحـدود البريـة مـع المغرب، وإعـداد تصـورات بعيدة عن أي حسـابات سياسـية غيـر موضوعيـة، قد تعيـق تقدم هـذا الملف، في ظـل وجود بعض القضايـا الخلافيـة العالقة وإعـادة النظر فـي طريقة معالجة هـذه القضايا.

وفـي نفـس الإطـار أكد عمـار سـعداني الأمين العام السـابق لحـزب جبهة التحرير الحاكم بالجزائر، أن العلاقة بين الجزائر والمغرب هي أكبر من موضوع الصحـراء الذي يجـب أن ينتهي وتفتح الحدود. وأعتبر أن الظرف مناسـب لكي تُسـوى العلاقـات بيـن البلديـن، لأنه هنـاك انتخاب رئيـس جديد فـي الجزائر، وهنـاك تغير فـي النظام، وهذا يمكن أن يؤدي لإعادة إحيـاء الاتحاد المغاربي.

مـن جانـب أخـر وفـي فتـرة الحـراك الشـعبي فـي الجزائـر وبعـده، نزعـت السـلطات المغربية فـي علاقتها مع الجزائر إلى خطـاب إيجابي خال من لغة الخصـام، وعـدم التدخـل في الشـؤون الداخلية للجزائر. وسـرعان مـا انتقلت الإيجابيـة إلـى الحـدود البريـة الفاصلـة بين البلديـن، ضمن ما سـمي الحراك الرياضـي، تزامنـاً مـع انطـلاق مباريـات كأس إفريقيـا للأمم عـام 2019، حيث عرفت العلاقات بين الشـعبين دفعة جديدة، وشـهدت الحدود الشـرقية بين البلديـن احتفالات مشـتركة وأحداث خاصة، بعد أن قام مشـجعون جزائريون بالتسـلل عبـر الحدود للاحتفـال مـع المغاربة في الضفـة الأخرى.

ختامـا بالرغـم من محاولات تحسـين العلاقـات المغربية الجزائرية لاسـيما مـن طـرف المغـرب، فقـد بقيـت الحـدود بيـن البلدين لحـد السـاعة مغلقة ومـازال مشـكل الصحـراء قائمـا. وسـاهمت ريـاح التغييـر السياسـي إثـر

الحـراك الـذي عرفتـه الجزائر فـي محاولـة تسـريع الانتقـال الديمقراطي في هـذا البلـد، ومن المؤكـد أن أيّ تحـول ديمقراطي في الجزائر يخـدم نظيره في المغـرب. لأن هـذا الانتقال يبعث على الأمل فى تحقيق السـلام مع المغرب، ومـن شـأنه أن يسـاهم فـي تعميق تحسـين علاقتهمـا نحو الافضـل. لهذا تسـاهم المُبادرات التـي تأتي بها الأحـزاب والقيادات السياسـية والفكرية أو عـن طريق مبادرات تفاعل الشـعبين مع قضية تحسـين العلاقـات الثنائية، كمحاولـة أخـرى لإثـارة الموضـوع، باعتباره مطلبا مشـروعا، وضـرورة ملحة فـي صالح الشـعبين معا.